

التحرير والتنوير

وليس لهذه الأقوال شاهد من النقل الصحيح ولا يلائمها القسم ولا السياق .

والخلق : إيجاد ما لم يكن موجودا ويطلق على إيجاد حالة لها أثر قوي في الذات كقوله تعالى (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) وقوله (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير) . فهو جعل يغير ذات الشيء .

والكبد بفتحيتين : التعب والشدة وقد تعددت أقوال المفسرين في تقرير المراد بالكبد ولم يعرج واحد منهم على ربط المناسبة بين ما يفسر به الكبد وبين السياق المسوق له الكلام وافتتاحه بالقسم المشعر بالتأكيد وتوقع الإنكار حتى كأنهم بصدد تفسير كلمة مفردة ليست واقعة في كلام يجب التثامه ويحق وثامه .

وقد غصوا النظر عن موقع فعل (خلقنا) على تفسيرهم الكبد إذ يكون فعل (خلقنا) كمعذرة للإنسان الكافر في ملازمة الكبد له إذ هو مخلوق فيه . وذلك يحط من شدة التوبيخ والذم فالذي يلتئم مع السياق ويناسب القسم أن الكبد التعب الذي يلزم أصحاب الشرك من اعتقادهم تعدد الآلهة . واضطراب رأيهم في الجميع بين ادعاء الشركاء ﷻ تعالى وبين توجيههم إلى ﷻ بطلب الرزق وبطلب النجاة إذا أصابهم ضرر . ومن إحالتهم البعث بعد الموت مع اعترافهم بالخلق الأول فقوله (لقد خلقنا الإنسان في كبد) دليل مقصودا وحده بل هو توطئة لقوله (أychسب أن لن يقدر عليه أحد) . والمقصود إثبات إعادة خلق الإنسان بعد الموت للبعث والجزاء الذي أنكره وابتدأهم القرآن بإثباته في سور كثيرة من السور الأولى . فوزان هذا التمهيد وزان التمهيد بقوله (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين) بعد القسم بقوله (والتين والزيتون) الخ .

فمعنى (أychسب أن لن يقدر عليه) : أychسب أن لن نقدر عليه بعد اضمحلال جسده فنعيده خلقا آخر فهو في طريقة القسم والمقسم عليه بقوله تعالى (لا أقسم بيوم القيامة) إلى قوله (أychسب الإنسان أن لن نجعل عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه) . أي كما خلقناه أول مرة في نصب من أطوار الحياة كذلك نخلقه خلقا ثانيا في كبد من العذاب في الآخرة لكفره .

وبذلك يظهر موقع إدماج قوله (في كبد) لأن المقصود التنظير بين الخلقين الأول والثاني في أنهما من مقدور ﷻ تعالى .

والظرفية من قوله (في كبد) مستعملة مجازا في الملازمة فكأنه مطروف في الكبد ونظيره قوله (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد أفلم يروا إلى ما بين أيديهم

وما خلفهم) الآية فالمراد : عذاب الدنيا وهو مشقة اضطراب البال في التكذيب واختلاق المعاذير والحيرة من الأمر على أحد التفسيرين لتلك الآية .

فمعنى أن الكبد ملازم للمشارك من حين اتصافه بالإشراك وهو حين تقوم العقل وكمال الإدراك . ومن الجائز أن يجعل قوله (لقد خلقنا الإنسان في كبد) من قبيل القلب المقبول لتضمنه اعتبارا لطيفا وهو شدة تلبس الكبد بالإنسان المشارك حتى كأنه خلق في الكبد .

والمعنى : لقد خلقنا الكبد في الإنسان الكافر .

السياق عليها يساعد لا الآية معنى في أخرى تأويلات وللمفسرين A E

(أ يحسب أن لن يقدر عليه أحد [5]) هذه الجملة بدل احتمال من جملة (لقد خلقنا الإنسان في كبد) .

والاستفهام مستعمل في التوبيخ والتخطئة .

وضمير (أ يحسب) راجع إلى الإنسان لا محالة ومن آثار الحيرة في معنى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أن بعض المفسرين جعل ضمير (أ يحسب) راجعا إلى بعض مما يعمه لفظ الإنسان مثل أبي الأشد الجمحي وهو ضعت على إباله .

(يقول أهلك ما لا لبدا [6] أ يحسب أن لم يره أحد [7]) أعقبت مساوي نفسه بمذاق أقواله وهو التفخر الكاذب والتمدح بإتلاف المال في غير صلاح . وقد كان أهل الجاهلية يتبجحون بإتلاف المال ويعدونهم منقبة لا يذانه بقله اكتراث صاحبه به قال عنتره : .

وإذا سكرت فإنني مستهلك ... مالي وعرضي وافر لم يكلم .

وإذا صحت فما أقصر عن ندى ... وكما علمت شمائي وتكرمي وجملة (يقول أهلك ما لا) في موضع الحال من (الإنسان) . وذلك من الكبد